مشجب

دائمًا أحملق في صورة بائسة معلقة على الحائط المقابل، لم أعد أتذكر من فيها.

هذه المرة هناك شيء غريب في الصورة، شعاع غريب ينبعث منها.. يلتفّ حولي، تزداد خيوطه، تشرنقني، تكاد عروقي تنفجر، وأنفاسي تختنق لاهثة، تستجدي الهواء، ولكن.. هيهات.

تذكّرت - الآن - الصورة كانت له.. ذلك القابع في حديقة منزلي، أتراه حقيقة أم محض خيال تحول إلى حقيقة، أكاشف نفسي بأنني أهذي أو أحلم حلمًا كابوسيًّا مزعجًا، وأقنعُ نفسي أنّ الاستيقاظ أصبح ضرورة ومرفأ للنجاة، يجب عليّ بلوغه مهما كان الثمن، حاولت أن أفيق، أن أستيقظ، وكلما ازدادت محاولاتي البائسة، ازدادت الشرنقة ضيقًا، وازداد صدري اختناقا.

حتّى تدلّت لامعة، على الرغم من الضوء الخافت، الذي يصافحها، حاولت الإمساك بها وإفلات يدي؛ لتصل إليها.. كانت مدلاة على شكل قلب يفتح له حواف حادة، وبه صورة لم تعد مهمة، المهمّ - الآن -

أن أنقذ نفسي، فتحت القلب، هوت الصورة، كما هويت أنا على الشرنقة بالمدلاة، أقطع أشعتها وخيوطها، وهي تقاوم، وتزداد ضيقًا في محاولة أخيرة لمنعي من التملص.

أخيرًا تمكّنت من تمزيقها، وخرجت منها، وأنا أتنفّس باضطراب عظيم وأنفاس متلاحقة؛ تكاد تقطع قلبي من فرط الإعياء.

لم تكتفِ بتمزيق الشرنقة؛ بل هجمت على الصورة، وأنا أصرخ، وذهبت إلى شباك يطلّ على حديقتي قائلة:

«انتهى الأمر ستظل هناك مهما فعلت، ولن تتمكّن منّي أبدًا، مثلما فعلت ذات مرة في الماضي، كنت صغيرة ضعيفة مطمئنة إليك، لم أعلم أنّ الذئب يتخفّى في ثوب الحمل... الأب... أخذت ثأري منك مرة، والآن أتخلص من بقاياك نهائيًّا».

ألقت الصورة؛ بكلّ ما يعتمل فيها من قوة، أخذت تضحك فرحة بالنجاة، حتّى شهقت، وساد الصمت.

في سرادق العزاء وقف شاب وسيم، يتلقى التعازي في والدته المسنّة، وهو يبكي، ويتذكّر كلمات، كانت تداعبه بها:

«تشبه كثيرا جدك... أبي ... لكنّك أكثر بياضًا منه».